مجمع الأحباب

وتذكرة أولي الألباب

تأليف

الشيخ الإمام العالم الورع

الشريف محمد بن الحسن بن عبد الله الحسيني الواسطي

رحمه الله تعالى

(٧١٧ - ٧٧٦هـ)

عُني به

محمد ابراهيم الخضر

محمد مصطفى الخطيب

محمد زكريا قاسم المقداد

عبد الله عبد السلام حميدان

الجزء الأول

دار المنهاج

علماء حضرموت وعنايتهم بكتاب « مجمع الأحباب »

بقلم/ محمد أبو بكر باذيب

في مطلع القرن الثاني عشر الهجري كانت بلدان حضرموت ـ وبالأخص مدينة تريم ـ تشهد حركة علمية ودَعَوية ، ونشاطاً ملموساً في طلب العلم ، وكان المحرِّك الأكبر لتلك الحركة ، والمشعِل لجذوتها . . هو سيدنا إمام الدعوة والإرشاد ، مجدد الإسلام في القرن الثاني عشر الهجري ، العلامة الداعي إلى الله عبد الله بن علوي الحداد ، الحسيني ، المتوفىٰ بتريم سنة (١١٣٢هـ) .

لا نقول إن حضرموت عَدِمت العلماء أو الدعاة قبل هٰذا الإمام ، ولٰكنا نقول : إن نقلة نوعية حصلت بعد تربع هٰذا السيد الجليل علىٰ منصة الدعوة ، وإرشاد العباد في وادي حضرموت ؛ إذ التفَّ حوله كوكبة نيرة من أهل القلوب الحية ، والنفوس المطمئنة ، وطفقوا يقرؤون في أمات الكتب عند شيخهم المذكور ، وراحوا ينقبون عن كنوز التراث ، وعيون المصنفات في شتى الفنون ، ولا يتسع المقام لبسط الكلام في هٰذا الجانب .

وقد كان لكتاب « **مجمع الأحباب** » للعلامة الواسطي الحسيني . . شأن جليل عند الإمام الحداد ، وكذلك عند تلامذته .

ولوصول هٰذا الكتاب إلىٰ حضرموت ، وشهرته وتداوله بين أهل العلم . . قصة لطيفة طريفة ، أوردها تلميذه المخلص الودود ، سيدي الإمام محمد بن زين بن سميط الحسيني (ت١١٧٢هـ) في مقدمة اختصاره له ـ الآتي ذكره لاحقاً ـ قال رحمه الله :

وكان التقاطي وجمعي لذلك من نسخة سيدنا الإمام عبد الله بن علوي الحداد باعلوي نفع الله به ، وليس الموجود في جهة حضرموت حال الكتابة[1] غير النسخة المذكورة .

ثم ذكر من عناية الإمام الحداد به : أنه لا يكاد يعيره أحداً دون سائر كتبه ، وكان يُقرأ

(١) وذلك سنة (١١٤٠هـ) .

عليه غالباً في شهر رمضان كلَّ سنةٍ ، وكان يُعْجَبُ به عند قراءته عليه كما رأينا ذلك ، وكانت النسخة التي صارت إليه في ثلاثة أسفار .

قصة وصول المجمع إلىٰ (تريم) :

قال الحبيب محمد بن زين بن سميط رحمه الله :

(وكان سبب صيرورة هـٰذه النسخة إليه : أن بعض السادة جاء بسِفْرٍ من ذلك من اليمن ، فعرضه علىٰ سيدنا أحمد بن زين الحبشي ، فأشار عليه أن يهديه لسيدنا الأكبر عبد الله بن علوي الحداد ، وأن ذلك يعجبه جداً ، ولو أعطاه ذلك . . لكان أعظم من الدنيا بحذافيرها ، فحصلت لذلك نية ، فأهداه ، فاغتبط به كما ذكرناه ، وبقي يسأل عن بقية الكتاب المذكور ، ويفحص عنه أشد الفحص ، ويوصي من سافر إلى اليمن أن يبحث عنه ، فسار من سبقت له السعادة من السادة إلىٰ صنعاء ، وعزم على التفتيش والفحص عن هـٰذا الكتاب ؛ لِما رأىٰ من سيدنا عبد الله وسؤاله وبحثه عنه ، وتعويله عليه ، فأتمّ الله له نيته بأن وجده ، فكملت تلك النسخة بعينها ـ تماماً ـ للسِّفر الذي سبق إليه هدية من قبل .

وكان سيدنا الإمام أحمد بن زين الحبشي يعد ذلك من كرامات سيدي ؛ حيث ظفر بالنسخة تلك بعينها) انتهىٰ كلام الإمام ابن سميط بتصرف[1] .

ومما تقدم من النصوص المنقولة عن بعض كبار علماء ومؤرخي ذلك الزمان . . يتضح لنا سبب ذلك الاهتمام بكتاب « المجمع » ، حتىٰ تداعىٰ ثلاثة من أجلة العلماء على اختصاره وتهذيبه ؛ لما رأوا فيه من أخبار صادقة ، وحكايات نافعة عن السلف الصالح .

وسوف نعرض في هـٰذه السطور لأبرز وأهم الأعمال الكتابية التي وضعت علىٰ كتاب « مجمع الأحباب » ، وهو جانب مضيء وهام من التاريخ العلمي لعلماء الحضارمة .

فأول وأجلّ من اهتم بكتاب « المجمع » من تلامذة الإمام الحدّاد : هو تلميذه وخليفته ، السيد الإمام الجليل أحمد بن زين الحبشي العلوي المتوفىٰ ببلدته المسماة (خلع راشد) ، والتي عرفت فيما بعد باسم : (حوطة أحمد بن زين) سنة (١١٤٤هـ) .

فهو الذي أشار على السيد محمد بن زين بن سميط ـ الآتي ذكره ـ أن يختصر الكتاب ، إبّان وجود السيد محمد بتريم في سنة (١١٤٠هـ) ، فامتثل أمره ، واغتنم إشارته ، وقام بذلك العمل المبرور .

---

(١) مقدمة « لب اللباب » لابن سميط (ص ٢ـ٣) (مخطوط) .

قال ابن سميط : (ولما جمعت ما جمعت . . عرضته جميعه علىٰ سيدي وقدوتي أحمد بن زين الحبشي ، فاستحسنه كثيراً ، وأمرّه جميعه علىٰ خاطره إلىٰ آخره ، وقرّره ، ونقل منه في « سفينته » نحو سبعين ورقة ، وذلك هو المأمول والمرغوب ، كما قال الشاعر المجيد :

يكون أجاجاً دونكم ، فإذا دنىٰ إليكم تلقّىٰ طيبكم فيطيب) اهـ[1]

فقوله : (إنه نقل في « سفينته » منه « ٧٠ » ورقة) . . دليل على اعتنائه به واهتمامه ، فلم يكن إرشاده ابن سميط أن يختصره مجرد إشارة ، ولـٰكن كأنه أراد أن يعينه في الاختصار ؛ لينقل عنه في « سفينته » العظيمة المشار إليها ، وكأنه لم يرد أن يخبر تلميذه ابن سميط بما نواه ، حتىٰ أتم عمله ذلك ، فلما أنجز المختصر . . أخذه منه ، ونقل عنه .

فلذا نلمس شدة فرح الإمام ابن سميط بما فعله شيخه معه ؛ إذ إنه نقل عنه ، فما أسعد التلميذ والمريد عندما يجد تشجيعاً من شيخه ، وحفزاً لهمته ، وتطييباً لخاطره ، ولا غرو ؛ فإن أولـٰئك الأئمة لم يصلوا إلىٰ ما وصلوا إليه . . إلا بمثل هـٰذه الأخلاق ، والنفسيات العالية ، والهمم الراقية رضي الله عنهم .

و« السفينة » المشار إليها : عبارة عن كشكول أو مجموع يجمع فيه العالم ما يقف عليه من شوارد المسائل ، وغرر الفوائد .

و« سفينة الإمام أحمد بن زين » هـٰذه تقع في (٢٠) مجلداً ، كما سمعنا من شيوخنا ، وكما ذُكِرَت في « مناقبه » لتلميذه ابن سميط ، وقد تفرقت عبر السنين المتطاولة ، إلا أن الحق سبحانه قيض بعض النابهين من أحفاد هـٰذا الإمام ، فجمع منها ما يقرب من (١٢) مجلداً[2] .

الثاني من المعتنين بـ« المجمع » : السيد العلامة المهاب ، الصادع بالحق طاهر بن محمد بن هاشم باعلوي[3] ، المولود بتريم ، والمتوفىٰ بها سنة (١١٦٣هـ) .

---

(١) « مختصر ابن سميط » (ص ٤) (مخطوط) .

(٢) وهو : أخونا السيد الفاضل ، المجد في طلب العلم والتفقه في الدين ، السيد عبد الرحمـٰن بن طـٰه بن عبد القادر بن سالم بن طـٰه بن علي بن محمد بن أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي ـ وفقه الله تعالىٰ ـ معيد بكلية الشريعة بجامعة الأحقاف بتريم حضرموت .

(٣) ترجمته في « حاشية شمس الظهيرة » (٢/٥٨٧) ، و« الفرائد الجوهرية » للسيد عمر بن علوي الكاف (٣/٧٩٧) .

وصفه مترجموه بأنه : كان عالماً عاملاً ، ولياً فاضلاً ، ورعاً زاهداً ، من الدعاة إلى الله سراً وجهراً ، وكان ينصح الولاة والحكام ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، وجرت له مع السلطان عمر بن جعفر الكثيري[1] مراسلات ومكاتبات ، تضمنت النصح له ، وتحذيره من عواقب الظلم الوخيمة . . . وانتهت ببعد المترجم عنه ، وهجره له لمَّا لم يستجب للنصح .

وقد أورد أحد أحفاده وهو السيد العلامة الأستاذ محمد بن هاشم ، المتوفىٰ سنة (١٣٨٧هـ) بعضاً من رسائله السياسية تلك في كتابه « تاريخ الدولة الكثيرية »[2] .

ووقفت علىٰ « منظومة » له في الفلك ، وهي دليل علىٰ تفننه وتوسعه في العلوم الشرعية والكونية .

اختصر العلامة الإمام طاهر بن هاشم « مجمع الأحباب » في كتاب سماه : « أسرع الوسائل والأسباب إلىٰ درك ترياق الألباب المنتقىٰ مما اشتمل عليه مجمع الأحباب » ، وهو في ستة أجزاء ، توجد منه نسخة بمكتبة جامع تريم ، برقم من (١٩٨٣) إلىٰ (١٩٨٨) كتبت سنة (١٢٥٩ هـ) .

منهج العلامة ابن هاشم في « مختصره » :

ذكر أنه اختصر « المجمع » إلىٰ نحو نصفه ، ولم يترك أحداً من المترجمين ، بل شملهم بالترجمة كلهم .

ثم قال : (ولما تقارب الزمان ، ودنا ظهور أشراط الساعة العظام . . عنّ لي أن أختم الكتاب بذكر أشراط الساعة ، وذكر الموت وأهواله ، وذكر الساعة وما بعدها . . .) إلخ .

ومصادره في الخاتمة هـٰذه :

ـ « الإشاعة لأشراط الساعة » للعلامة السيد محمد بن رسول البرزنجي ، وهو مطبوع[3] .

ـ « القول المختصر في علامات المهدي المنتظر » للإمام الشيخ ابن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ) ، مطبوع .

---

(١) ينظر « تاريخ الدولة الكثيرية » للسيد محمد بن هاشم (ص/ ٩٦ـ١٠٥) .
(٢) (ص/ ١٠٤ـ١٠٥) .
(٣) وهو من منشورات دار المنهاج ، بتحقيق الأستاذ حسين محمد علي شكري .

ـ « إحياء علوم الدين » لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) ، مطبوع مشهور .

ـ « شرح الصدور في شرح أحوال الموتىٰ والقبور » ، للإمام الحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) ، مطبوع .

وكتب أخرىٰ .

وتميز مختصر ابن هاشم بإيراده جزءاً من مقدمة الواسطي ، في حين أن ابن سميط والسقاف الآتي ذكرهما . . بدءا مباشرة بالتراجم ، دون ذكر أو اختصار للمقدمة .

وثالث المعتنين بـ« المجمع » : السيد الشريف ، القدوة الزاهد ، الصالح الحبيب علي بن عبد الله بن عبد الرحمـٰن بن عقيل السقاف ، المولود بسيون سنة (١٠٩٢هـ) ، والمتوفىٰ بها سنة (١١٨١هـ) .

كان عالماً جليلاً ، صالحاً زاهداً ، صادعاً بالحق ، مرشداً للطريق القويم ، أُفردت سيرته بالتأليف من قبل سبطه العلامة الفقيه ، الإمام عمر بن سقاف السقاف ، المتوفىٰ سنة (١٢١٦هـ) .

وصف مختصر السقاف :

يقع مختصر الحبيب علي بن عبد الله في مجلدين ، واسمه : « لب اللباب المنتقىٰ من مجمع الأحباب » ، وهو في ثلث حجم الأصل .

توجد منه نسخة أَشهَرَها بالتصوير بعض ذريته ، وهو السيد حسن بن سالم بن حسن بن عبد القادر بن سقاف بن أحمد بن علي بن عبد الله السقاف ، كتبت هـٰذه النسخة سنة :(١٢٦٠هـ) بقلم سعيد بن حميد بن عبد هود بن علي بن عمر بن سالم :

المجلد الأول : يقع في (٤٩٣) صفحة ، يبدأ من ترجمة سيدنا الصديق رضي الله عنه وينتهي بترجمة الثوري .

المجلد الثاني : يقع في (٦٠٧) صفحات، يبدأ بترجمة الإمام الشافعي إلىٰ نهاية الكتاب.

وفي آخر الكتاب مقابلة في فاتحة جماد الآخرة (١٢٦٠هـ) .

قال الحبيب السقاف في مقدمة مختصره :

(. . . فاستخرت الله في التقاط أنموذج من جواهره النفيسة ، ودرره العسيسة ، ما راق

وشاق ، وفاق على الترياق ، فصار مختصراً وجيزاً في نحو ثلث أصله العزيز . . . وذكرت جميع من فيه إلا القليل ، وإلا العباد المجهولة أسماؤهم ، وسميته : « لب اللباب المنتقىٰ من مجمع الأحباب » اهـ[1]

وجاء في مناقبه المسماة : « موارد الألطاف ومحاسن الأوصاف » لسبطه العلامة القاضي عمر بن سقاف في (الباب الرابع) :

(وقرىء عليه كتاب « مجمع الأحباب » ، للشيخ محمد بن الحسن ، وهو كتاب جليل حافل ، في ثلاثة جلود ، في مناقب عباد الله الصالحين . . فاختصره ، وانتقىٰ منه غرره ، وجواهره ودرره ، في كتاب مجلد ضخم ، أو مجلدين لطيفين كنسخته الشريفة ، سماه : « لب اللباب المنتقىٰ من مجمع الأحباب » ، جمع الله له ما في تلك المجلدات في مجلد :

وليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

فكان كتاباً عظيماً ، جامعاً نافعاً ، لم يصنف مثله ، ولم يوجد شكله ، وتبين علىٰ أمثاله فضله ، فيتعين علىٰ طالب الآخرة تحصيله ونقله ، ويجعله جليسه ونعم الجليس ، ويكون أنيسه وحبذاك أنيس ، جمع مناقبهم وأقوالهم ، وأفعالهم وأحوالهم ، وكثيراً ما يجري علىٰ لسانه عند قراءته وقراءة غيره من المناقب : عند ذكر الصالحين . . تنزل الرحمة) اهـ[2]

ورابع المعتنين بـ « المجمع » : السيد الإمام ، الزاهد ، الداعي إلى الله محمد بن زين بن علوي بن سميط باعلوي الحسيني ، المولود بتريم سنة (١١٠٠هـ) ، والمتوفىٰ بشبام سنة (١١٧٢هـ) .

كان من خواص إمام الدعوة الحبيب عبد الله الحداد ، وصنف في ترجمته وأحواله وسيرته مصنفات عظيمة ، وله مؤلفات أخرىٰ ، أفرده بالترجمة بعض علماء شبام ، وهو الشيخ الصالح معروف بن محمد باجمال ، بكتاب سمّاه : « مجمع البحرين » في مجلد كبير ، مخطوط .

اختصر الإمام ابن سميط كتاب « مجمع الأحباب » ، وكنا قدمنا أول هٰذه الكلمة بعضاً من مقدمته لمناسبته ثمة .

---

(١) مقدمة « لب اللباب » للسقاف (ص/ ١-٢) .
(٢) « موارد الألطاف » للإمام عمر بن سقاف (ص/ ١٠١) (مخطوط) .

وكان بدؤه في مختصره المسمىٰ « لب اللباب من مجمع الأحباب » بمدينة تريم سنة : (١١٤٠هـ) ، بعد أن أشار عليه شيخه الإمام أحمد بن زين الحبشي بذلك ، فاختصره من النسخة الفريدة ، التي كانت في حوزة شيخهما الإمام الحداد .

قال ابن سميط في مقدمة مختصره :

(وكان التقاطي لهـٰذا المختصر منه في نحو ربعه ، وذلك بحسب ما فهمت ، وما ألهمني سيدي وشيخي أحمد بن زين في الالتقاط ونبهني عليه ، جل ذلك فيما يتعلق بالسِّيَر والطريق التي مضت عليه السلف الصالحون ، والمناقب المنعشة للهمة ، المنبهة للقلوب الغافلة ، والمرقفة للقلوب القاسية .

وحذفت ما كان فيه من القصص الطويلة المملة ، وكذا كلام المصنف في شيء من المقالات ، سيّما ما كان منه طويلاً .

وما نقلت منه إلا ما كان منشطاً ومنعشاً للهمّة في الاقتداء ، وما يحصل به التأثر للقلوب ، بحسب ما وجدت أنا من التأثر بذلك ، والله أعلم بوجوده لغيري ، ولعل الناس يختلفون ، و﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ . . .) إلخ[١] .

ثم قال : (وما زدت علىٰ ما ذكر صاحب « المجمع » إلا ما كان في ترجمة مولانا علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه ، وفاطمة والحسين ، وزين العابدين ، والباقر ، والصادق ، وموسى الكاظم ، وغيرهم من أهل البيت المعظم المطهر ، وتلك الزيادة بالخصوص من كتاب « الفصول المهمة » لابن الصباغ المالكي[٢] رحمه الله) اهـ[٣]

وصف مختصر ابن سميط :

وقفت علىٰ نسخة ـ لعلها وحيدة فريدة ـ من هـٰذا الكتاب ، تقع في (٤٠٢) صفحة من القطع المتوسط ، ناقصة من آخرها ، انتهت أثناء ترجمة سفيان الثوري ، وهو الجزء الأول ، ولم أجد أثراً للجزء الثاني .

---

(١) مقدمة « لب اللباب » (ص/ ٣ـ٤) (مخطوط) .

(٢) هو : علي بن محمد بن أحمد ، ابن الصباغ ، ولد بمكة سنة (٧٨٤هـ) ، وبها توفي سنة (٨٥٥هـ) ، فقيه مالكي ، أصله من (سفاقس) ، من شيوخ السخاوي . « الأعلام » (٥/ ٨) و« الضوء اللامع » (٥/ ٢٨٣) .

(٣) مقدمة « لب اللباب » (ص/ ٥) (مخطوط) .

وعلى النسخة تملكات لبعض حفدة المصنف : الحبيب حسن بن أحمد بن زين بن محمد بن زين بن سميط المتوفىٰ بشبام سنة (١٣٢٠هـ) ، ثم لابنه : الحبيب محمد بن حسن المتوفىٰ بشبام سنة (١٣٨٧هـ) ، ثم لابنه : الحبيب علي بن محمد المتوفىٰ بسيون سنة (١٤١٠هـ) .

وهي محفوظة لدىٰ أبناء الحبيب علي بن سميط بسيون ، ولعل هناك نسخة أخرىٰ بشبام لم أقف عليها بعد .

وقد ذكر الشيخ معروف بن محمد باجمال الشبامي[1] في « مجمع البحرين » هـٰذا الكتاب ضمن مؤلفات الإمام محمد بن زين ، عندما سردها فقال :

(ومنها : الكتاب العظيم القدر المسمّىٰ : « لب اللباب خلاصة مجمع الأحباب » . . في سير السلف ، ومحاسن طرائقهم ، ودرر ألفاظهم ، من سير الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم من عباد الله الصالحين ، مما ينعش في طريق الآخرة ، ويرغب في المقامات الفاخرة ، وهو كتاب ضخم ، ينيف علىٰ أربعين كراسة) اهـ[2]

❊ ❊ ❊

وبهـٰذا نكون قد أتينا علىٰ ذكر ما أردناه من التعريف بحال كتاب « مجمع الأحباب » ، وعناية السلف الصالح ـ من علماء حضرموت وصالحيها ، وكبار الدعاة إلى الله بها ـ بهـٰذا الكتاب المبارك .

وقد يسّر الله بفضله الحصول علىٰ نصوص نفيسة من كتب نادرة في التعريف بكل كتاب ، فلِله الحمد والمنة والشكر .

وأحب أن أذكر هنا أمرين :

الأول : تفاوت عمل كل واحد من هـٰؤلاء المختصرين فيما كتبه ، فابن هاشم اختصر إلى النصف ، والسقاف إلى الثلث ، وابن سميط إلى الربع ، وهـٰذا تناسب عجيب .

كما أن الإمام الحبشي انتقىٰ من مختصر ابن سميط (٧٠) ورقة في « سفينته » .

---

(١) هو الشيخ معروف بن محمد باجمال ، من أهل شبام ، توفي بها سنة (١٢٨٦هـ) ، له هـٰذا الكتاب وكتب أخرىٰ ، منها : « أربعون حديثاً في الفضائل » ، وله رسالة عن « أحوال أهل حضرموت » ، وكلها عندي بحمد الله ، وهو والد الشاعر الشبامي الشهير عبد الله بن معروف ، المتوفىٰ بشبام سنة (١٢٩٢هـ) .

(٢) « مجمع البحرين » (ورقة ٥٩/ب ـ ٦٠/أ) (مخطوط) .

الثاني : أن الحق سبحانه وتعالىٰ أعان ويسر لنا الكشف عن مختصر الإمام ابن سميط رحمه الله ، الذي كان مغموراً في بحار النسيان والإهمال ، ولم يكن معروفاً ولا مذكوراً إلا عند خاصة الخاصة .

ويسر المولىٰ بمنه وكرمه لنا أن نظهر الفرق بين مختصر السقاف ، ومختصر ابن سميط ، اللذين يحملان نفس الاسم ، وفي هـٰذا من الإشكال والإيهام ما لا يخفىٰ ، فالحمد لله علىٰ هـٰذا التوفيق .

وأخيراً : لعل السبب الرئيس في عقد هـٰذا الموضوع . . هو الإشارة إلىٰ أن الاهتمام الكبير من الإمام الحداد بهـٰذا الكتاب جعل هـٰذا الكتاب في دائرة الضوء ، حتىٰ حصلت هـٰذه الفرصة المباركة لطباعة هـٰذا الكتاب ، وإلا . . لربما كان قابعاً في رفوف المكتبات الخطية مع الكثير من كنوزنا التراثية العظيمة ، التي خلفها لنا الأجداد ، والتي تحتاج إلىٰ بحث وتنقيب ، والله المستعان ، ولا حول ولا قوة ولا بلاغ إلا بالله .

وأسال الله الكريم بمنه وكرمه . . أن يتقبل ما كتبناه ودوناه في هـٰذه السطور ، ويجعل ذلك في ميزان الحسنات ، والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً ، وصلى الله وسلم علىٰ خير خلقه ، سيدنا وحبيبنا ، وشفيعنا وقرة أعيننا رسول الله محمد بن عبد الله ، وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين .

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۞ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

❊ ❊ ❊